

وَصَفُ كَارِثَةٌ نَجَازَاكِي بَلْفَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تمهيد :

لقد نقل الينا شهود العيان ما حل بالمدينة المنكوبة نجازاكي في لغة توحى بصدق الحوادث والأحاسيس ، فعاشونا المأساة ولو لفترة من الزمن شعرنا فيها بهول المصاب وفداحة النازلة .

وإذا أردنا ان نقتبس لغة القرآن الكريم في وصف بعض ما حل بنجازاكي فلننظر ماذا عسانا أن نقول ..

ان هذا ما سنحاوله فيما يلي من فقرات باعتبارها عينات مختصرة لبعض ما يمكن أن يقال في هذا الصدد .

وقبل أن نبدأ هذه المحاولة نرانا في حاجة الى استعراض معانى كلمات أربع (١) ذكرت متميزة في القرآن الكريم عند الحديث عن تدمير القرون الأولى . وهذه الكلمات هي : الرجفة - الصيحة - الصاعقة - الظلة ، وكذلك حرف الفاء .

الرجفة : « (الرجفة) : الزلزلة وقد (رجفت) الأرض ، والرجفان بفتحين : الاضطراب الشديد » وكذلك (رجف) الشيء رجفا : تحرك واضطراب ، ورجفت الأرض كذلك ورجفت يدها : ارتعشت من مرض أو كبير . ورجفته الحمى : أرعده فهو راجف على غير قياس » .

(١) راجع : مختار الصحاح والاصحاح المنير .

وعلى ذلك تكون : الرجفة هي الزلزلة أو الاضطراب أو الرعشة أو الرعدة ، أو هي الاهتزازة ، وهي تصيب الانسان والحيوان والنبات والجماد .

الصيحة : « (الصياح) : الصوت وقد (صاح) يصيح (صيحا) و (صيحة) » وكذلك « (صاح) بالشئ : صرخ » .
أى أن الصيحة هي الصوت أو الصرخة .

الصاعقة « (الصاعقة) : نار تسقط من السماء في رعد شديد ويقال (صققتهم) السماء اذا ألقت عليهم الصاعقة . (والصاعقة) أيضا : صيحة العذاب » .

ويقال كذلك « (صعق) : غشى عليه لصوت سمعه و (الصاعقة) : النازلة من الرعد والجمع صواعق ولا تصيب شيئا الا دكته وأحرقته) فالصاعقة هي نار تسقط من السماء تصيب المخلوقات فتحرق ما تحرق وتدك ما تدك .

الظلة : « (الظلة) : أول سحابة تظل . وعذاب يوم الظلة : قالوا غيم تحته سموم » .

أى أن الظلة عبارة عن سحابة تظل فيها سموم ، أو هي مظلة هلاك « حرف الفاء : « الفاء من حروف العطف ولها ثلاثة مواضع يعطف بها . وتدل على الترتيب والتعقيب مع الاشتراك تقول : ضربت زيدا فمرا .

والموضع الثانى — يكون ما قبلها علة لما بعدها وتجرى على العطف والتعقيب دون الاشتراك ، تقول : ضربه فبكى وضربه فأوجعه ، اذا كان الضرب علة للبكاء والوجع ، والموضع الثالث — هو الذى يكون للإبتداء وذلك فى جواب الشرط كقولك : ان تزدنى فأنت محسن . فما بعد الفاء كلام مستأنف يعمل بعضه فى بعض » .

ونلاحظ ان استخدام حرف الفاء في وصف تدمير القرون الأولى ، كما غلب ذكره في القرآن الكريم ، قد جاء على شاكلة الموضع الثاني فقد كان ما قبلها علة لما بعدها ، وذكر كلاهما ترتيباً مع التعقيب ، ومثال ذلك قوله تعالى ، في وصف ما حل بقوم شعيب :

« واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جائعين » .
(هود : ٩٤)

*

والذي يهمننا بياحه الآن هو ان التعقيب لا يعنى اتسام حدثين في فترتين متلاحقتين دائماً من الزمن ، ولكنه يمكن أن يعنى وجود فترة زمنية تفصل بين الحدثين ، تقصر فتكون عدة ساعات ، وقد تطول فتكون أياماً وما هو أطول من الايام .

ويتبين ذلك من قوله تعالى في وصف ما حل بشود بعد أن عقروا الناقة :

« فعقروها فاصبحوا نادمين . فاخذهم العذاب . ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين » .
(الشعراء : ١٥٧ - ١٥٨)

ومن المعلوم أن مهلة العذاب بعد عقر الناقة كانت ثلاثة أيام ، كما تذكر سورة هود :

« فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب » .
(هود : ٦٥)

فاذا تصورنا ان الندم لحق بعضهم - أو كلهم - صبيحة اليوم التالي لعقر الناقة ، لكان هذا يعنى ان الندم أصابهم بعد فترة يوم من عقرها ، وأن العذاب أصابهم بعد فترة أكثر من يومين من الندم .

اما اذا كان الندم قد اصابهم في صبيحة اليوم الرابع حين أحسوا بالكارثة تطبق عليهم ، فان هذا يعنى أن الفترة بين العقر والندم تزيد على ثلاثة أيام .

وفي كلا الحالتين يتحقق ما تقوله من أن حرف الفاء - في دلالة على التعقيب - يسمح استخدامه بأن تكون الفترة بين حدثين متعاقبين عدة ساعات أو عدة أيام أو ما هو أكثر من هذا . وقياسا على ذلك نستطيع أن نفهم من قوله - تعانى - في وصف ما حل بشهود واصحاب مدين .

« فاخذتهم الرجفة ، فاصبحوا في دارهم جائمين » .

(الاعراف : ٧٨ ، المنكوت : ٢٧)

انه مرت فترة - لعلها عدة ساعات أو يوما أو بعض يوم - بين الرجفة وتحولهم الى جثث خامدة لا حراك فيها .

ونخرج بنفس المفهوم من آية الصيحة - التي ذكرناها انفا - والتي اصاب قوم شعيب أصحاب مدين ، أى أنه مرت فترة من الزمن بين اطلاق الصيحة والقضاء عليهم حين صاروا جثثا خامدة في ديارهم .

وكذلك مرت فترة ما بين اطلاق الصيحة على قوم لوط وتدمير قراهم بجمل عاليها سافلها كما تقول الآية الكريمة :

« فاخذتهم الصيحة مشرقين . فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل » .
(الحجر : ٧٣ - ٧٤)

مشاهد . . .

والآن نعرض بعضا من المشاهد التي تعرضت لها نجازاكي منقولة الينا بلغة أهلها ، مع ما يمكن أن نقوله في تلك المشاهد بلغة القرآن الكريم .

المشهد الأول :

يقول الشهود « رأى (كاتو) غمامة تشبه الكرة الضخمة من القطن تنفتح فوق سماء اوراكامى وأخذت تتسع في سرعة خاطفة وكان ضوءها ضوء مصباح مغلف بقطعة من الصوف . كان منظرها الخارجى أبيض أما

داخلها فكان يبدو شعلة حمراء يتصاعد منها لهب أحمر . ومن الكرة البيضاء تبعث دون توقف كل الألوان، وكأنها قوس قزح .

أخذت الكرة هيئة القلادة وأخذ رأسها يرتفع شيئاً فشيئاً الى أن كونت قرصاً كبيراً وفامت في الوقت ذاته عاصفة سوداء من الغبار والمواد المتناثرة في اوراكامي ، وكأنها هبت أثر هذا القرص الكبير و فجأة ارتفعت الزوابع الى ما هو اعلى الجبل ..

ورأى (تاجاوا) بقعة من الدخان الأبيض .. واخذت البقعة في الاتساع . كانت البقعة بيضاء تتحرك على شكل بقعة ضخمة في محيط قطره كيلو متر ..

وسقطت كرات أصابت احداها قدم الرجل (تاكامي) ثم انفجرت وتبركت عموداً أبيض من الدخان .. ثم اعقبها سقوط وابل من النيران فاشتعلت الحرائق هنا وهناك .

وتقول - على الفور - بلغة القرآن الكريم :

لقد « اخذهم عذاب يوم القلة ، انه كان عذاب يوم عظيم » (١) .

المشهد الثاني :

يقول الشهود : « مرت خمس ثوان .. عشر ثوان .. دقيقة والرجل (تسو شيمونو) يحبس انفاسه ثم انبعث نور قوى في ابراج السماء وضوء وهاج لا مثيل له .. ثم رأى المكان الذي تقوم فيه الكاتدرائية وقد انطلق منه عمود دخان أبيض ثم أخذ في الاتساع .

ورأى (فيرو) على قمة جبل اينوز كرة حمراء من النار ، براقه كأنها عمود قوى من المغنسيوم داخل مصباح ، ثم وقعت الكرة ولم يتصور الرجل كنهها ..

(١) سورة الشعراء : ١٨٩ .

وبوغت الرجل (تاكامى) بحرارة شديدة تكاد تحرقه وجاموسته
أعقبها تنساقط كرات من النار عليهما .

لقد كانوا ينظرون العذاب وهو واقع بهم فلم يجدوا عنه مصرفا وفى
هذا المشهد تقتبس من القرآن الكريم قوله فى مشهد مماثل :
لقد « أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » (١) .

المشهد الثالث :

يقول الشهود : « كانت الحرارة الناشئة من الانفجار هى تسعة آلاف
درجة ، فأحرقت كل ما صادفها ، وأذاب التفجير المعادن التى ارتفعت ثم
هبطت كالشهب الملتببة فأضاءت وأشعلت الحرائق فى كل مكان ..

وبدأت تنساقط من السماء قط كبيرة سوداء فى حجم عقلة الاصبع ،
تهطل من سحابة عالية دكناء وكأنها قط من البترول حيث كانت تنزل على
النيران فتزيدنما التهابا واشتعالا ، فزاد هذا من بشاعة المنظر .

لقد أمطرت نجازاكى على غير المعتاد ، لم ينزل عليها من السماء ماء أو
برد أو نحوه وانما أصابها مطر سوء كان حمما ملتببة ومعادن منصهرة
وحجارة قذف بها من الأرض الى ارتفاعات عالية فى السماء ثم اسقطت ثانية
الى الأرض .

ويحدثنا القرآن الكريم عن قوم أنفدوا العذاب فلم يعبأوا به ، فجاءهم
من السماء فى صورة مطر سوء على غير المعتاد . وفى هذا يقول القرآن
الكريم فيما نزل بأولئك المهلكين :

« وأمطرنا عليهم مطرا ، فساء مطر المنذرين » (٢) .

(١) سورة الداريات : ٤٤ .

(٢) سورة الشعراء : ١٧٣ .

وصارت تلك القرية التي تعرضت لمطر السوء مكانا يبيض على المارين بها ضروبا من المشاعر والذكريات ، ومنبعا للعبير لكل من يعتبر ، وفي هذا بقول القرآن الكريم :

« ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء ، افلم يكونوا يرونها ، بل كانوا لا يرجون نشورا » (١) .

* * *

المشهد الرابع :

يقول الشهود : « في الساعة الحادية عشرة تفجرت قبلة ذرية على ارتفاع ٥٥٠ مترا فوق ماتسوياماكي قلب حي ايراكامي في مدينة نجازاكي وأخذ صفير العاصفة يجتاح المنطقة بسرعة الفى متر في اثنائة .

لكن الرعب الذى استولى على السيد تسوشيوتو والذى جيد له دمه ، هو ذلك الصفير المرعب الذى انطلق من تحت الغمامة البيضاء .. انطلق في سرعة خاطفة يكتسح سفح الجبل ويجتاز الحقول في أقل من لمح البصر ..

ان مباني (الجامعة) عانت الأمرين من قوة الصفير الهائل ، فردهات المحاضرات الاساسية الكبرى في كلية الطب كانت كلها من الخشب ، ولذا تمزقت جميعها أو تفتتت ثم احترقت فصارى رمادا .. »

وتعجب لمة القرآن الكريم فنقول :

لقد « اخذتهم الصيحة مصيحين » (٢) .

* * *

(١) سورة الفرقان : ٤٠ .

(٢) سورة الحجر : ٨٢ .

ويقول اليهود : « برق فجأة ضوء خاطف ثم أعقب ذلك اندفاع النوافذ الى الداخل بفعل ريح عاتية ، ورأيت نفسى وقد ارتفعت فى الفضاء مفتوح العينين وأبصرت تناثر الزجاج وبعض أشياء وهى تدور كما تدور أوراق الشجر فى دوامة مخيفة .

شعرت كأن قبضة قوية جبارة غير منظورة قبضت على الحجره بأسرها مرة واحدة فهزتها هزا وقلبتها بما فيها ثم جمعت كل ما فى الحجره ووضعتها فوق رأسى فى ضجة وصخب هائلين .

أخذ صغير العاصفة بقلب الأرض ويحتاجها وما احتوت ، وقد رفع الفراغ الذى نشأ من ذلك فى منطقة الانفجار كل ما تناسر ثملقى به على الأرض ..

وأخذ الرجل يطوف بالمنطقة كلها كأنه قد أصابه الصرع .. وبدأت عقب ذلك تتطاير البيوت التى على السفح وتتناثر اشجار الحقول أمام ناظره بسبب تلك الظاهرة العجيبة .

صارت كل هذه الاشياء تراقص تراقصا عجيبا .. وتبينت الممرضة أن حياة ما قد دبت فى الاشياء الصماء بدأت هذه الاشياء ترحف ثم تتجمع بقوة سحرية .. اكتسحت المكان الذى كان يختبئ فيه قوة رهيبه عجيبة غير مرئية ذات ضغط لا حد له كانت تسحق كل ما يقع فى طريقها .. «

لقد اهتزت كل الأشياء : اهتز الانسان والجماد والحيوان والنبات .

اهتزت وتراقصت .. لقد اخذتها الرجفة .

ولنتظر قليلا حتى نرى المشهد السادس ، لنعلم ماذا أعقب تلك الرجفة وترتب عليها ثم لرجع بعد ذلك الى القرآن الكريم .



المشهد السادس :

يقول الشهود : « كانت الممرات وقاعات الانتظار والمعامل مملأى باكوام من البشر .. تحولوا الى أجسام فوق أجسام .. الكل عراة والجروح متفتحة وكان منهم صاحب الجسم العارى وقد سلخ جلده ومنهم آخرون عراة دكن لون جلدهم بسبب التراب وقطع الزجاج .. كان منظر الضحايا مؤلما للغاية .. كان الدم ينبثق من كل مكان في أجسامهم : من العين والاذن والانف ، وكان المخ في الجثة قد سحق سحقا ، بل كان البعض يلفظ من فيه قطعا مكورة من الدماء ..

لقد طرحوا أرضا والتصقوا بها في قوة خارقة ..

كذلك كانت الجثث معلقة رموسها في الأرض وقد انتزعت أذرعها وأرجلها في كل مكان على بقايا الحوائط الحجرية وفي الطرقات وفي الحقول .

لقد سبق أن وصف القرآن الكريم حال أناس تعرضوا لمثل ما تعرض له أصحاب المشهدين الخامس والسادس فقال فيهم :

- « أخذتهم الرجفة ، فأصبحوا في ديارهم جاهلين » (١)
- وصاروا بحق « كهشيم المحتظر » (٢)



المشهد السابع :

رأى (فيرو) على قمة جبل انيوز كرة حمراء براقه كأنها عمود قوى من المنسيوم .. ولكي يتمكن من رؤيتها جيدا ، وضع يده على إحدى عينيه وجرب الرؤية بالعين الأخرى ..

(١) سورة الامراء : ٧٨ ، وسورة النكبوت : ٢٧ .

(٢) سورة القمر : ٢١ .

لقد فقد الوعي عدة ساعات ولما تنبه ألقى نفسه في حقل أرز .
وكل ما يذكره بعد ذلك أنه صار يمين واحدة .. لقد فقد الأخرى
نهائياً » .

هذا - ولنفرض الآن أنه في أحد أيام الاسبوع الأول من شهر اغسطس
عام ١٩٤٥ ، استطاعت اليابان الحصول على معلومات مفادها أن الولايات
المتحدة ستقوم غدا صباحا بضرب احدى المدن اليابانية بسلاح رهيب
يستخدم لأول مرة في الحرب العالمية الثانية ، وان المعلومات التي توافرت
عن ذلك السلاح الجديد تجعله من أسلحة التدمير الشامل لماله من طاقة
تفجير هائلة تظهر على شكل ضغط ووهج حراري واشعاعات قاتلة . فمن
المؤكد أن أول اجراء تتخذه اليابان هو تخطيط وتنفيذ عملية اجلاء شاملة
لمواطني تلك المدينة المهتدة . ومن البديهي أن تتم عملية الجلاء في جنح
الليل حتى تقل احتمالات كشفها بواسطة القوات المعادية ، وبالتالي تزداد
فرص نجاح العملية . واذا كانت المعلومات التي توصلت اليها اليابان دقيقة
لدرجة أنها عرفت تأثير الوهج المبهر على الاعين ، وأنه يذهب ببصرها
فيسبب لها عى مؤقتا أو عى مستديما - حسب البعد عن مكان الانفجار
أو القرب منه - فمن المؤكد كذلك أن التعليمات التي تصدرها السلطات
اليابانية المختصة ستكون صارمة الى أقصى حد ، وأن من بينها بندا يقول
لقائد كل قافلة مرتحلة :

« أسر .. بقطع من الليل .. ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث
تؤمسون » .

لقد حدث منذ اكبر من ٣٦٠٠ عاما قبل القاء القنبلة الذرية على اليابان
أن اصدر رسل الله تعليمات النجاة الى لوط ، وكانت تقول له بكل حزم :
« أسر باهلك بقطع من الليل ، واتبع اذبارهم ، ولا يلتفت منكم احد ،
وامضوا حيث تؤمرون » (١) .

(١) سورة العبر : ٦٥ .

لقد فرض حظر التلفت على لوط وأهله حفاظا عليهم ودرءا لخطر
ينتظرهم . فهم حين يسرون ليلا بعيدا عن قربتهم ثم يسمعون الصيحة خلفهم
سوف يلتفتون بحكم الغريزة - استطلاعا لما يجرى حولهم - وعندئذ
يصيهم شر كان يمكن توقيه لو صدعوا للامر . ومن المؤكد أن هذا الشر
يتعلق بعيونهم دون أجسامهم وأعضائهم الأخرى مثل الآذان والأيدي
والأرجل ، فلا بد - اذن - أن يكون هذا الشر هو تعرض عيونهم للمعى ،
ولا يكون ذلك الا بسبب ضوء وهاج .

ومن أجل ذلك صدر اليهم ذلك الأمر « لا يلتفت منكم أحد » - حفاظا
على أبصارهم ، وتجنبنا لأى آثار نفسية تترتب على رؤيتهم ذلك المشهد
المهول .

ولم يكن هناك من سبب - فى تقديرى - لهذا الأمر غير ذلك .



وبعد - تكفيينا هذه المشاهد السبعة ، التى اقتبسنا لوصفها من لغة
القرآن الكريم ما جمعت فأوعت ، وتشابهت فالتفت ، وكانت من الدقة
والوضوح مما جعلنا نستغنى لفهما عن الشروح والتأويلات .



معالم الحقيقة

« الحكمة ضالة المؤمن » . . .

إنها حكمة من جوامع الكلم ، نطق بها سيدنا رسول الله .

والحكمة هي العلم بحقائق الأمور ومعرفة ما بينها من علائق ، الأمر الذى يدفع للوصول الى محكمها من أمهات الحقائق بهدف معرفة الحق والخير المغلف بالجمال .

فلما كنا ننشد الحق والخير فى هذا المبحث كان لزاما علينا أن نبث عن الحقائق وما بينها من روابط وعلاقات بما يسمح باستخلاص النتائج الصحيحة فى غير تجاوز أو اسراف .



وعلى ضوء ماتقدم ، نستطيع الآن رسم الصورة التى نراها صادقة - لحقيقة التدمير الذى أصاب أقواما من القرون الأولى هم : ثمود ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، فنلخص خطوطها الرئيسية كالاتى :

لقد كان ما حل بتلك الأقوام رهيبا ، فقد قضى على الأنفس وخرب الديار وأهلك الحرث والنسل ، وتم ذلك كله فى فترة زمنية وجيزة أقلها لحظات ، وأطولها ساعات أو أيام ولقد كان التدمير مصحوبا بظواهر طبيعية تمثلت فى أصوات مفزعة ، وصواعق جوية ، وظللا من الوهج والعذاب ، ونيرانا وقذائف تسقط من السماء .

وبقى من نواتج ذلك التدمير ما استمر يحدث آثاره المهلكة قرون

عديدة .

وثمة عامل آخر - هام وكاف أن يقوم وحده - هو ذلك التطابق التام الذى رأيناه بين المشاهد التى عاينتها الانسانية للتدمير الذرى الذى أصاب المدينة اليابانية فى منتصف القرن العشرين - عام ١٩٤٥ - وبين تلك المشاهد من تدمير القرون الأولى ، والتي قصها علينا القرآن الكريم .

ان هذا كله يدفعنا لتقرير : ان تلك القرون الاولى قد هلكت بفعل تدمير ذرى .

ولا غرابة فى ذلك ..

ذلك ان ماحققه العلم من تقدم - ونحن فى مطلع الربع الأخير من القرن العشرين - يزيل أوجه الاستغراب فى استخدام الطاقة الذرية فى تدمير تلك القرون .

لقد أصبح طلبة المدارس الاعدادية على علم بأن الطاقة الهائلة التى تمدنا بها الشمس فى صورة ضوء وحرارة واشعاعات أخرى ، انما تنتج عن تفاعلات نووية مستمرة يتحول فيها الايدروجين الى هيليوم وتفقد الشمس من كتلتها ٤ مليون طن من المادة فى كل ثانية ، فتتحرر هذه الطاقة الهائلة . أى أننا نعيش فى ظل تفاعلات ذرية مستمرة ، تتم على أبعاد سحيقة بقدر فيصينا منها الخير الكثير ، كما يصيبنا بعض الأذى نتيجة لتساقط جزء من الأشعة الكونية على الأرض ، رغم ما تقوم به طبقات الجو العليا من حجاب حاجز يمنعها فلا يصلنا منها الا الشئ القليل .

ان التفاعلات النووية أو الانفجارات الذرية تعتبر - اذن - ظواهر طبيعية .

لقد استخدم الطوفان فى تدمير قوم نوح ، واستخدمت الريح فى تدمير عاد قوم هود ، وكلاهما - الطوفان والريح - عمل من أعمال الطبيعة ، فكل منهما ظاهرة طبيعية .

انتى أقول دائما - ويقول كل مؤمن - أن الكون وظواهره من صنع
 البارى ، وانه - جلت قدرته - يسيره وفق سنن ونواميس لا تعرف الخلل
 أو الصدفة أو الاضطراب ، واذا تراءى لنا ان شيئا من ذلك قد حدث ،
 فالخلل فى رؤيتنا نحن وفى تفسيرنا للحوادث . والله قادر ان يهلك كل فرد
 من القرون الأولى والأخيرة فى لحظة واحدة - وفى صمت كصمت أصحاب
 القبور - لكن قوى الطبيعة التى خلقها الله قد خلقت لتعمل وفق امره
 سبحانه :

((وكان امر الله قدرا مقدورا)) . (الاحزاب : ٢٨)

ومن أعمال قوى الطبيعة ان تنزل العقاب الالهى بالظالمين ، فتلك سنة
 من سنن الله فى كونه :

((فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا)) .

(فاطر : ٤٣)



هذا - وتزداد أماننا صورة التدمير الذى حاق بتلك القرون الأولى
 وضوحا ، حين تقدر موقفها العمرانى ومن ثم أنسب حالات الضرب الذرى
 التى تتفق وما قصه علينا القرآن الكريم من أنبائها فنعلم كيف هلكت تلك
 القرون .



كيف هلكت ثمود :

قرأ فى القرآن الكريم ما دار من محاورات وجدل كثير بين الرسل
 وأقوامهم ، فنعلم من ذلك الحالة التى كانت عليها تلك الأقوام اقتصاديا
 واجتماعيا وسكانيا .

فبالنسبة لثمود يذكر القرآن الكريم على لسان صالح قوله :

((يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، هو انشأكم من الأرض
 واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ، ان ربي قريب مجيب)) .

(هود : ٦١)

« واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد ، وبوأكم في الأرض ، تتخونون من سهولها قصورا ، وتنتحون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين » .
(الأعراف : ٧٤)

« اتركون في ما ههنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنتحون من الجبال بيوتا آمنين . فاتقوا الله وأطيعون » .
(الشعراء : ١٤٦ - ١٥٠)

من ذلك يتبين أن ثمود كانت تسكن القصور ، وتنتح الجبال بيوتا ، وتعيش في مراعى خضراء وسهول واسعة ومنشآت وحصون ، كما كانت شعبا وفيرا العدد والعدة .



وبناء على ما سبق تتوقع أن يكون تدمير ثمود قد تم بتفجير ذرى من الجو ، ذلك أن هذا النوع من التفجير يستنفذ نحو ٥٠٪ من طاقته في صورة ضغط يلزم لتدمير المنشآت والدور والقصور ، ثم هو يعطى وهجا حراريا يحرق ما يصادفه من انسان وحيوان ونبات ، ويخلف اشعاعات ذرية تقضى على البقية الباقية .

ولقد قال القرآن في ثمود :

« اخذتهم الصاعقة وهم ينظرون » .

كما أن الاشعاعات الذرية يمكن أن تصيب الهلكى بالشلل اذا كانوا في حدود دائرتها الخطرة ، ولعل هذا ما يفهم من قول القرآن :

« فما استطاعوا من قيام ، وما كانوا منتصرين » .

ولقد علمنا من الحديث عن ظاهرة الفجر القطبي ، ان هناك من التفجيرات الذرية في أعالي الجو ما يسمح بتوليد صواعق كهربية تحرق وتدمر . وليس هناك ما يمنع من حدوث شيء من ذلك لثمود .



ان تدمير ثمود بانفجار ذرى جوى يحقق فيهم تلك المشاهد التى نراهم
فيها كما يقصها علينا القرآن الكريم . ومن هذه المشاهد :

- « أخذتهم صاعقة العذاب الهون » .
- « أصبحوا فى ديارهم جائعين » .
- « أخذهم المذابح » .
- « اهلكوا بالطاغية » .
- « كانوا كهشيم المحتظر » .
- « دمرناهم وقومهم اجمعين » .

وان تدمير ثمود بانفجار ذرى ليتفق وما جاء فى احاديث الرسول عن
ديارهم ، فقد اعتبرت منطقة ملوثة يحظر العيش فيها ، ثم هو يتفق كذلك
وما جاء فى قصة ابي رغال ، وكان عبدا صالحا منهم ذهب الى ملجأ بعيد
فكان فى حرم الله ، فواقه الهلاك الذرى ، حتى اذا ما ترك ملجأه وسار فى
منطقتهم قتله الاشعاعات الذرية التى كانت لا تزال على أشدها آنذاك .



كيف هلك قوم لوط :

كان ما دار من حديث بين لوط وقومه ، وبين ابراهيم ورسول الله :
« انكم لتاتون الرجال ، وتقطعون السبيل ، وتأتون فى نادىكم المنكر ،
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اتتنا بظباب الله ان كنت من الصادقين ..
ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى . قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان
اهلها كانوا ظالمين . قال ان فيها لوطا ، قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امراته كانت من الفافرين » (المنكيات : ٢٩ - ٣٢)

من ذلك نعم ضعف الحالة العامة التى كان عليها قوم لوط ، فقد كانوا
يسكنون قرية رئيسية قد تجاوزها بعض القرى الصغيرة ، وكانوا متعبين
اقتصاديا مما اضطرهم الى العمل قطاعا للطرق يسلبون الناس أموالهم .
وكانوا قلة فى الاعداد والمنشآت التى توقع الا تزيد عن كونها بيوتا من
الطين والخيام ونحوه .

فهم بذلك يختلفون تماما عن الحالة التي كانت عليها ثمود من قوة وسعة .

ان ضعف المنشآت في قرية - أو قرى - قوم لوط وصغر مساحتها ، وما اقتصوا بذكره في القرآن الكريم من أمطارهم بحجارة من سجيل وحجارة من طين ، يجعلنا نتوقع أن يكون تدميرهم قد تم بانفجار ذرى أرضى قريب من السطح .

فمثل هذا الانفجار يحتفظ بالجزء الاكبر من طاقته لتظهر على صورة ضغط ، وهو كفييل بأن يقلب قرية - أو عدة قرى - من الطين أو اللبن فيجعل عاليها سافلها .

فبالرغم من ان انفجار نجازاكي كان من الجوع على ارتفاع نحو ٦٠٠ متر ، إلا أنه كان شديد التأثير في التربة فقد « أذاب التفجيرات المعادن التي ارتفعت ثم هبطت كالشهب الملتهبة فأضاعت وأشعلت الحرائق في كل مكان » كما جاء في شهادة شهود الكارثة .

ولما كانت قرى قوم لوط تقع جنوب البحر الميت ، وهي منطقة غنية بالفوسفات والمنجنيز والمعادن والاملاح ، فإن حدوث تفجير ذرى في هذه المنطقة كفييل بأن يصهر تلك المعادن ويكون منها مخلوطات ومركبات تقذف قوة ضغط التفجير ببعضها الى اعلا عدة كيلو مترات ثم تسقط ثانية الى الأرض على هيئة أمطار من بللورات شديدة الصلابة بعد أن تكون قد تعرضت لطبقات الجو العليا الباردة ، فتماسكت وجمدت .

كما أن البعض الآخر يقذف به حول منطقة التفجير من ارتفاعات منخفضة وهو على هيئة حمم ملتهبة تسقط ثانية الى الأرض على هيئة أمطار سوء تصيب كل من يتعرض لها .



لقد وصفت بعض الحجارة التي أمطر بها قوم لوط بأنها « من طين »
ولكى يتحول الطين الى حجارة فلا بد له من حرارة شديدة تذهب بمائه
فتزداد جزئياته تناسكا .

ومنذ عشرات القرون يستخدم الطين المحروق في بناء الأبراج العالية
والقلاع الحصينة وعلى عهد موسى :

« قال فرعون : يا ايها الاله ما علمت لكم من اله غيرى ، فاوقد لى يا هامان
على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى واتى لاطنه من الكاذبين »

ولما كانت موجات ضغط الانفجار الذرى تنتشر في لحظاتها الأولى
بسرعات كبيرة تزيد عن سرعة الصوت أى تزيد عن ١٢٠٠ كيلو مترا في
الساعة ، فان هذا الضغط يعطى الأجسام التى يكتسحها طاقة حركة هائلة
تزيد كثيرا عن تلك الطاقة التى يدفع بها اعصار قوى - يتحرك بسرعة ٥٠٠
كيلو مترا فى الساعة - ما يصادفه من أجسام مثل هذه .

وفى دراسة عن مثل هذه الاعاصير « سجلت الصور أن أعواد الذرة
كافت تخرق الأبواب والأشجار ، وان أعواد القمح الضعيفة كانت تفوص
فى جذوع الشجر الى مسافة سنتيمتر ٠٠ ، واخرقت قولحة ذرة رأس
حصان ! ٠٠٠ وكانت العصى الخشبية تنقب الواح رقيقة نسبيا من
الحديد ! ٠٠ وحمل الاعصار احد أعمدة التليفون واخرق به تماما جذع
شجرة من أشجار الزان ..

وللأعاصير أصوات فضيحة تصم الأذان ، ويمكن تشبيهها بمجموع
الاصوات الناتجة عن اندفاع عشرة آلاف قاطرة من قاطرات السكك
العديدية دفعة واحدة فى ليل ساكن « (١) .

(١) دورات الحياة - تأليف الدكتور عبد الحسن صالح - ص ٧٤ .

ولنا أن تتوقع اذن أن يكون فعل تلك الحجارة التي أمطر بها قوم لوط مناظرا على الأقل لما يفعله الرصاص المنطلق من فوهات الأسلحة الصغيرة كالبنادق والمسدسات ، بل وان تأثيرها في الانسان ليتعدى ذلك لكونها حجارة محمأة وملوثة بالاشعاعات الذرية .

والسجيل — عند العرب — كل صلد شديد ومنضود أى يتبع بعضه بعضا .

وقد ذكر أيضا في معنى حجارة من سجليل أنها حجارة محمأة أو مطبوخة بنار جهنم ، أى مطبوخة في سعير ملتهب . فكل ما كانت حرارته عالية جدا يسمى جهنم أو الجحيم كما في قصة ابراهيم وقومه الذين « قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم » . (الصافات : ٩٧)

وعلى ذلك نفهم أن « حجارة من سجليل منضود » أى حجارة تعرضت لحرارة زائدة ، ثم تماسكت فصارت صلدا ، ثم تساقطت عليهم مطرا غزيرا يتبع بعضه بعضا . وحين توصف تلك الحجارة بأنها « حجارة من طين » فان هذا يعطينا فكرة عن أن تلك الحجارة قد جاءت أصلا من الطين أى من الأرض .

ومن ثم تتبين أن هذه الأوصاف يتم بعضها بعضا ، وتتفق جميعها وتلك الحجارة التي يقذف بها في انفجار ذرى أرضى .

وعلى ذلك يجب اعادة النظر فيما قاله المفسرون بأن تلك الحجارة — التي كانت في حجم حبة القمح — من أنها كانت تسقط على رأس اللوطى فتخرج من دبره ، باعتبار ذلك قول صحيح يتفق وما يحدث في الطبيعة .

*

ان تدمير قوم لوط بانفجار ذرى أرضى يتفق وما قرره العلم من ان « التفاعلات البلورية التي وجدت في هروشيما دلت على ان تربتها تحولت بعد الفاء القنبلة الذرية عليها الى بقايا اشبه بما كان في سدوم وعمورة في فلسطين حيث عاش قوم لوط » .

وهو يتفق كذلك وتلك الصور التي نراها فيها قراء من آيات القرآن الكريم :

« ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر » .

« وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين » .

« فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها ، وامطرنا عليها حجارة من سجيل منفسود » .



كيف هلك اصحاب مدين :

لقد كان مما قاله شعيب لقومه :

« يا قوم اعبسوا الله ملكم من الله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، فلو فوا الكيل والميزان ، ولا تبغضوا الناس اشياءهم ، ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ، ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين . والذكروا الا كنتم لقيلا فكثرتم ، وانتظروا كيف كان عاقبة الفاسدين » .

(الأعراف : ٨٥ - ٨٦)

وقال لهم شعيب :

« اتى اراكم بغير ، واتى اخاف عليكم عذاب يوم محيط . قالوا يا شعيب اصلواتك تلمزك ان نترك ما يعبد آباؤنا لو ان فعلنا في اموالنا ما نشاء ، انك لات العظيم الرشيد . قل يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ووزقني منه رزقا حسنا ، وما لريد ان اخالفكم الى ما اتهاكم عنه ، ان لريد الا الاصلاح ما استطعت ، وما توفيتي الا بالله عليه توكلت واليه اتيب » .

(هود : ٨٤ - ٨٨)

لقد كان شعيب وقومه في رغد من العيش ، ذوى اموال وتجارة رائجة وجنات وعيون وكثرة في التعداد ، ومن ثم كانوا على درجة من التمدن ومظاهره من دور وقصور ، وان كانت أقل قطعا مما كانت عليه ثمود ، ولم يعرف عنهم نعت الجبال يوتا .



ونظرا لوجود صورة من التشابه العمراني بين ثمود واصحاب مدين فمن المتوقع اذن ان يكون تدميرهما قد تم بنفس الكيفية ، أى أن أصحاب مدين هلكوا نتيجة لحدوث انفجار ذرى من الجو .

ولقد تميز تدمير مدين بتلك « الظلة » التى اختصم بها القرآن الكريم وهى سحابة مرتفعة كان قدامى المفسرين موقنين أياها توفيق حينما عرفوها بانها « سحابة فيها سموم » . وما فصيها سوى سحابة الانفجار الذرى التى تتصاعد عالية فى حالة الانفجار الجوى ، ثم تعود لتهبط الى الأرض . ومن المتوقع أن يكون الانفجار الذرى لأصحاب مدين قد حدث على ارتفاعات أعلا من نظيره الذى حدث لثمود ، ذلك ان التفجير فى الارتفاعات العليا يمنع عمود الغبار المتصاعد من الأرض أن يتصل بالسحابة وتبقى هى بمفردها ظلة تنشى ما تنشى ، كما ان هذا النوع من التفجير تزداد فيه طاقة الوهج الحرارى وهو ما يلزم لاحتراق الأشجار والجنات التى اشتهر بها قوم شعيب ، حتى انهم عرفوا باسم « أصحاب الايكة » .

وفى هذا النوع من التفجير تتحقق فى قوم شعيب هذه الصور التى نراهم عليها فى القرآن الكريم :

- « أخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جائمين »
- « أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم »



والآن - نرجو أن يكون قد استبان السبيل ، ووضحت المعالم ، وظهر لنا من الأمور ما يجعلنا نقول بان تلك القرون الأولى : ثمود - وقوم لوط - واصحاب مدين ، قد هلكت بانفجارات ذرية .

ثم لا نملك الا أن نقول - عند هذا الحد - ما تعلمناه من الذين أوتوا العلم والايمان ، حين يلقون القول فى قضية ، ان تكون عاقبة قولهم :

والله اعلم



الانسان : المنهج والمصير

« كان الانسان اكثر شيء جدلا » .. ولا يزال

وكانت مآساته كأمته في محاولات التمرد على منهج خالقه .. وما تزال .
ويشهد التاريخ على ضياع هذا النوع من الانسان .. لأنه يسبح دائما
ضد التيار الجارف .. وينطح رأسه في جلاميد الصخر .. ويستعجل نهايته
على طريق الدمار .



ومن أمثلة انسان الدمار ، تلك القرون الأولى : ثمود وقوم لوط
وأصحاب مدين . لقد تمردوا على منهج خالقهم ، وأكثر من ذلك ان اختاروا
طريق التحدى .. فقد استعجلوا جميعا عذاب الله هزوا واستخفافا .. فجاءهم
العذاب .

فهذه ثمود قوم صالح :

« عتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعننا ان كنت من المرسلين »

وهؤلاء قوم لوط قالوا لرسولهم :

« ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين » .

وهؤلاء أصحاب مدين قوم شعيب قالوا لرسولهم :

« اسقط علينا كسفا من السماء ، ان كنت من الصادقين » .

لقد بلغ التحدى من أصحاب مدين كل مبلغ حين طلبوا ان يأتيهم العذاب

غاشية من السماء ، فجاءتهم الظلة .. غاشية من السماء .

لقد جاءهم جميعا عذاب الله .

ان هذه سنة الله في خلقه :

« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا ،
وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون » .
« فكللا اخذنا بذنبه : فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذتهم الصيحة
ومنهم من خسفنا به الأرض
ومنهم من اغرقنا
وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .



ان منهج الله واضح تمام الوضوح ، مكين يضمن للانسان الأمن في يومه
وغده ، وان مشكلة الانسان — منذ جاء الى ان يرحل — هي ضمان الامن
والسلام في نفسه وفيما حوله . ولن يحصل الانسان على أقل القليل من
الأمن والسلام المفقود ، الا اذا أقام منهج الله ، الذي يتمثل — كما سبق
التقول في :

ايمان بالله الواحد يصدقه عمل صالح .

ان هذا ما اجمعت عليه كتب السماء على مر العصور والازمان .



فلقد كانت أول الوصايا الى موسى .

« انا الرب الهك . لا يكن لك آلهة اخرى امامي . اكرم اباك وامك .
لا تقتل لا تزني لا تسرق . لا تشهد . شهادة زور . لا تشته امرأة قريبك » .
(خروج : ٢٠)

وكانت شهادة التوحيد الخالص هي الوحي الى النبي اشعيا :

« يقول الرب : قبلي لم يصور اله وبعدي لا يكون . انا اله . ولا اله
غيري » .
(اشعيا : ٤٣ ، ٤٤)



وكانت شهادة التوحيد الخالص هي صلاة المسيح لربه وخالقه . ان هذا ما يسجله انجيل يوحنا :

« تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال :
وهذه هي الحياة الأبدية :

ان يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك

ويسوع المسيح الذي أرسلته » . . .
(يوحنا : ١٧)
ان هذا يعنى بنفس اللفظة : لا اله الا الله . المسيح رسول الله .

وكيف لا ، والمسيح — ينجل ان ينسب اليه شيء من الصلاح ، ثم يرد
الصلاح كله لله . لقد كان هذا ما علم به تلاميذه وبنى قومه :

« واذا واحد تقدم وقال له : أيها المعلم الصالح ، اى صلاح اعمل لتكون
لى الحياة الأبدية .

فقال له : . . . اذا تدعونى صالحا ، ليس احد صالحا الا واحد وهو الله .
وان كن ان أردت ان تدخل الحياة فاحفظ انوصايا : لا تقتل . لا تزني . لا تسرق
لا تشهد بالزور . اكرم اباك وامك . واحب قريبك كنفسك . (متى : ١٩)

* * *

وان التوحيد الخالص هو الأساس الذى يقوم عليه الاسلام وهو من
أعظم ما يميز به :

« فاعلم انه لا اله الا الله » . (حجة : محمد)

« قل هو الله احد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا
احد » . (سورة : الاخلاص)

« ومن احسن دينا من اسلم وجهه لله وهو محسن ، واتبع ملة ابراهيم
حنيفا » . (سورة : النساء)

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فلا خسوف عليهم ولا هم
يحزنون » . (سورة : الاحقاف)

والآن : ولم يعد لنا من قول ، فلنختم بهذا القول الكريم :

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . . .

« والحمد لله رب العالمين »

* * *

